الصوفية في اليمن
النشأة والمنهج

الباحث/ محمد محمد عبدالله صالح السنفي[*]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق العباد لأمر معلوم برز منه في عوالم المعرفة، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي بعث بالدعوة الجامعة الشاملة حاملة الحلول الاخيرة؛ معالجة كافة ما انصرف عنه الناس، وحتكم من أجلة الوسواس، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وكرّه إلينا الأخذ بسبل الضالين والمغضوب عليهم كما نقرأه صباحاً ومساءً في أم الكتاب، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيد، وختم حياته وهو يحذر من الشرك والتنديد، وأسباب ذلك، فإن هذا البحث الموسوم بالصوفية في اليمن من المواضيع المهمة المتداولة بين طلبة العلم لما لها من أهمية بالغة لكونها تمثل تيارًا عريضًا في المجتمع اليمني، والتي أسهمت في إصلاح كثير من القضايا في الحياه العامة سواء في الحياة اليمنية أو غيرها وهو المبحث الأول الذي يتحدث عن تعريف التصوف والنشأة، والمبحث الثاني عن الصوفية ونشاطها، والمبحث الثالث منهج الصوفية وموقفها من القضايا المعاصرة.

والله ولي التوفيق

(*) باحث دكتوراه بقسم الفلسفة الإسلامية - كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

المبحث الأول
الصوفية؛ التعريف والنشأة

تعريف الصوفية:

تعد الصوفية في اليمن من الموضوعات التي تشكل أهمية خاصة للدارسين بحكم انتشار أتباع هذا المذهب وكثرتهم، مما سبب وجود أرضية وثقافة خاصة بهم ومناسبات يمارسون فيها طقوسهم التعبدية، كما كثر علماؤهم ودعاتهم خاصة بعد استخدامهم وسائل المعرفة الحديثة كالجامعات والقنوات الفضائية.

ومن العسير أن تقع على تعريف جامع مانع للتصوف – فقد عجز الصوفية – حتى الآن– عن إعطاء تعريف دقيق جامع مانع للتصوف، وما قدموه عبارة عن تعريفات (جزئية) يركز كل واحد منها على زاوية من زوايا التصوف المتعددة. والمركز على تعريفات التصوف يجد أن بعضها يركز على العنصر الأخلاقي مثل: تعريف الكتاني للتصوف بأنه: خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"[(١)].

وبعضها يركز على الجانب (المعرفي) ويعمم الحبشي تعريفه للتصوف حيث يقول: "التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الأمم، وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة، وإنما نعني بالتصوف هنا: هذا الذي وصلنا في صورته الإسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب"[(٢)].

وربما نلمح في بعض التعريفات الاهتمام بإبراز علاقة التصوف بالشريعة، يقول ابن خلدون في ذلك: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة

(١) د.عبد الفتاح أحمد الفاوي، التصوف عرض ونقد، دار الهاني للطباعة والنشر، دار السلام المعادي، ص٨.

(٢) عبدالله بن محمد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م، ص٩.

هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"[1] ويخصص الحبيب عمر بن حفيظ التصوف بأنه "تزكية النفس وتطهيرها عن ذميم الصفات وتحليتها بالأوصاف المحمودة"[2].

وبعضها يركز على الجانب المعرفي مثل قول الشيخ الحكيمي: "التصوف الحق بأنه إيمان بالله وحده، وإيمان بكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتمسك بكتاب الله وسنة سيد المرسلين، وامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وحفظ حدوده، والوفاء بعهوده، واتباع السلف الصالح، على أحسن السبل وأطيب المناهج القويمة والصراط المستقيم، وأخلاق عالية، وهمم سامية، ونية صالحة لخدمة الدين والمسلمين، وإخلاص العمل، وحسن الطوية، وتصفيه النفس والعقل والروح، وإصلاح القلب، وتحلي بالفضائل، وتخلي عن الرذائل، وخدمة المجتمع بصدق وإخلاص، خدمة يقبلها كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ، وتزكيها الحجج والحقائق والبراهين والشواهد، طهر لا دنس فيه، وصفاء لا كدر فيه، وإخلاص لا غش فيه، ووفاء لا خداع فيه، وزهد وورع وقناعة وعفاف، لا طمع ولا جشع فيه، وكلمة حق عند سلطان جائر، وعقيدة

(١) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج١، ص٦١١.

(٢) مقابلات على قناة السعيدة بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٥م:

http://www.youtube.com/watch?v=P9Rt3c9hZpg

قول وعمل وليس تصفيف العمائم أو لبس الجبب"[1]، وبعض التعريفات قديمها وحديثها لا تخلو من الغموض وإن لم تحتج لكل هذا الغموض فهي واضحة سهلة – كما سبق توضيحها–.

نشأة التصوف:

الصوفية في اليمن تحتوي على كثير من المشاهد التاريخية المتنوعة فهناك الصراع السياسي بين الصوفية والحكام القائمين بالأمر. وهناك – أيضا – الصراع الفكري بين الصوفية والفقهاء، ومن ثمرته أن خرجت العديد من المؤلفات الفكرية التي أثرت المكتبة الثقافية في اليمن وهناك – كذلك – قوانينها ونظمها الخاصة بها. كل واحدة من تلك الجوانب التي ذكرناها تحتاج إلى دراسة مستقلة إذا أردنا أن نوفيها حقها من البحث.

ويمكن للباحث أن يقع على كثير من الآيات والاحاديث التي يمكن أن تكون منبعاً للتصوف، بل ولا يمكن إقصاره على الديانة الإسلامية فالتصوف وليد عوامل داخلية وعوامل خارجية خصوصا أن معظم متصوفة المسلمين انحدروا من أصول غير عربية، وله أكثر من مصدر تضافرت على نشأته.

وسنروي قصة نشوء الصوفية في اليمن وذلك من خلال ابن علوان، وقصة الصوفية في اليمن وكيف نشأة وتطورت حتى صار لها تنظيمها وقواعدها المتعلقة بها. يقول العلامة ابن علوان عن نشأت التصوف أنه "بدأ التصوف مع بداية الإسلام وكان في أولياته ضربا من الزهد، في الحياة وفي ملذات الحياة، فكل لذة تفتح بابا من أبواب الخطيئة والإثم"[٢].

(١) عبدالله على الحكيمي، أيام من حياة المجاهد الكبير، إعداد سعيد ثابت، سلسلة أعلام الإصلاح والتجديد في اليمن، إصدار التجمع اليمني للإصلاح دائرة الإعلام والثقافة التجمع اليمني للاصلاح، صنعاء، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٧.

(٢) أحمد بن علوان، ديوان كتاب الفتوح، ص٧.

وكان أول دخول التصوف إلى اليمن عبر حضرموت في القرن الرابع الهجري، حيث استوطن العلويون الوافدون عليها من العراق تريم، وكان أول من عرف بالتصوف فيها عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر. درس عبدالله كتاب أبي طالب المكي "قوت القلوب"، فنقل ما فيه من الأفكار إلى حضرموت ومنه إلى سائر اليمن. أما والده فقد كان شيعيا إماميا، فنشأت الصوفية في حضرموت في أحضان التشيع. وكان له طموح لإقامة دولة إمامية، لكن الصعوبات حالت بينه وبين مراده"[1].

ويرى الدكتور عبد الكريم قاسم، أستاذ الفلسفة بجامعه صنعاء، أن التصوف "بدأ على أساس أنه تركة زهدية سلوكية وكثير من اليمنيين الذين ذهبوا إلى الفتوحات الإسلامية أو بقوا هنا كان لهم دور كبير في تأسيس حركة الزهد في العالم الإسلامي ونذكر منهم طاووس بن كيسان صاحب كتاب التيجان في ملوك حمير، وأويس القرني الذي يعتبر من أهم رموز الصوفية في العالم الإسلامي"[2].

من ثم انتشر التصوف في المناطق الساحلية بما في ذلك عدن، وتهامة، واليمن السافل؛ والتصق التصوف بالمذهب الشافعي، وكان انتشاره في أهل هذا المذهب. وكان مما شجع على التصوف وأعان على انتشاره دخول اليمن في حكم الأيوبيين.

وكان من مظاهر التصوف انتشار القبور والأضرحة والقباب المبنية عليها، وما صاحب ذلك من اعتقاد في الأولياء والموتى. بالإضافة إلى الموالد والاحتفالات الدينية، ومظاهر الخرافة والشعوذة. وسلك التصوف في العقيدة مسلك الإمام أبي الحسن الأشعري –رحمه الله تعالى، وهو المشتهر في زبيد، ولا تزال للصوفية بقية باقية حتى

(١) الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، إعداد/ مجموعة الباحثين، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء ذي الحجة ٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م (بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية-٢٠٠٩م، ص٢٣،٢٢.

(٢) مقابلات في قناة السعيدة مسجلة.

اليوم، فقد اعتمدت على الدعوة السلمية، والانتشار بين العامة، ولم تدخل في أي صراع يقضي عليها"[١].

ويوضح الحبشي أسباب انتشار الصوفية الواسع في المناطق السهلية، والساحلية من اليمن وتحديدا في تهامة والمناطق المحيطة بها؛ كون تلك المناطق تتميز بالهدوء والسكينة اللذين ينشدهما شيوخ الصوفية وخلصاؤهم، وتلاميذهم. ويرى الكثير من كبار شيوخها في المناطق الساحلية بأنها تساعد على تهذيب النفوس، وتجعل الإنسان في خلوة مع النفس، وتأمل دائم، وفي هذا الصدد، يقول الحبشي: "أغلب الظن الذين عرفتهم اليمن من الصوفية عاشوا في تهامة حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحببة لهم، فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزلة والعبادة في سواحلها، بعيدا عن ضجيج الحياة وقلاقل الحكام. وقد كان أحد صوفيتهم وهو الشيخ أحمد الصياد، الذي يقع ضريحه في مسجد متواضع بمدينة التواهي بعدن يثني كثيرا على السواحل ويرى أنها مورد عباد الله الصالحين"[٢].

ويذكر ابن القيم في (مدارج السالكين) عن بعض متقدمي الصوفية في تعريف التصوف قوله: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف ويعلق ابن القيم قائلا: بل الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين، وكذلك التقوى"[٣]، فهذا هو التصوف الذي نريد: تصوف التربية والأخلاق القرآنية، التصوف الذي يغذي الإيمان، ويرقق القلوب، ويحرك الدوافع،

(١) الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، إعداد/ مجموعة الباحثين، ص٧٩-٨٣.

(٢) عبدالله الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٢.

(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م،ج٢، ص٣٠٧.

ويشحذ الإرادة، ويهذب النفس، ويقوي السلوك الخير للإنسان، في ضوء الكتاب والسنة، وهدي السلف الصالح، فهو الذي نحرص عليه، وندعو إليه، ونحن في حاجة ملحة وشديدة له اليوم في ظل هذه الأوضاع المؤلمة التي تعيشها أمتنا والفوضى المحزنة التي تتخبط فيها، وانسداد آفاق المستقبل أمامنا نتيجة ذلك كله.

أشهر الطرق الصوفية:

تعددت طرق التصوف وتنوعت مشاربه، ووجد على رأس كل طريقة شيخ، ولكل شيخ منهج وأسلوب يأخذ به مريديه، كما أن لكل طريقة شعاراتها وأذكارها وأورادها التي قد تختلف فيها مع غيرها من الطرق.

وتعد اليمن من الأقاليم المؤسسة للتصوف الإسلامي، ومن الأقاليم المؤسسة لحركة الزهد، وهي جزء من السياق العربي والإسلامي ثقافة وحضارة، ودخلتها تقريبا جميع التيارات الصوفية، سواء التيارات السنية أو التيارات الفلسفية، وهي من ضمن الجماعات الإسلامية المعاصرة التي لها حضورها وموقعها على الخارطة الدينية حيث توجد عدد من الطرق الصوفية التي تمثل "العلوية" أبرزها ونموذجها المحلي.

وتمثل الطرق الصوفية المنتشرة في اليمن هوية المسلم التي يستمد منها فلسفته وعلاقته بالواقع المعاش "إلا أنها يميزها عن غيرها بسلفتها الظاهرة، واقتفاء أثر أعلامها الأوائل، ويعد العمل بالعلم ركنها الأساس، ولهم عناية بالغة بعلوم الفقه، واشتغلوا بالآداب والأخلاق الغزالية وتهذبوا بها"[1].

ومثلما هبت التيارات أو الطرق الصوفية الكبرى والمشهورة على الوطن العربي، والعالم الإسلامي هبت أيضا على اليمن. وفي هذا الصدد، يقول الأستاذ عبد الله الحبشي: "إن الطرائق الصوفية في اليمن تأثرت بشعارات وطقوس، وعادات وتقاليد

(١) إسلام أون لاين، صوفية اليمن خريطة الأفكار والتيارات، ص ٨.

الفرق الكبرى المشهورة التي ظهرت على سطح حواضر الوطن العربي والعالم الإسلامي وهي ست طوائف (القادرية، الشاذلية، المغربية، الرفاعية، السهروردية والنقشبندية)"[١] ومنها كما يذكرها الحبشـــي بعض الطرق المحلية أو الطوائف الصوفية المحلية النابعة من البيئة المحلية (كالأهدلية، والجبرتية، والحدادية، والعيدروسية) التي لها وجود في منطقـــة تهامة وحضـــرموت وعدن"[٢].

* * *

(١) عبدالله الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٣٣-٣٤.
(٢) عبدالله الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٣٣-٣٤.

المبحث الثاني
منهج الصوفية ونشاطها

ويذكر لنا الشيخ الحكيمي نموذجا ومنهجا قويماً للطرق الصوفية ومنها الطريقة العلوية، وعن سلامة نهجها، وبراءتها من الخرافات والشعوذة، وأنها طريقة لا تخرج عن إطار مصادر التشريع الإسلامي، وبأن شيخ الطريقة لا يقر أحدا على الخروج عن الحدود الشرعية، أو ما يخالف جوهر الدين وروح الإسلام، فيقول: (إن طريقتي العلوية مبرأة من الدنايا ومحدثات الأمور، إنها تبرأ إلى الله من الشعوذة والمشعوذين، والخرافات والمخرفين، ومن كل عمل محتقر ليس له دليل من كتاب الله وسنة رسوله، ولا من إجماع أو قياس)[1].

ويصف الشيخ الحكيمي المنهج الذي يجب أن يكون عليه التصوف قائلا: "بأنه يكون دائما واقعيا يخدم الواقع لا بالتهور والهوس والخرافات، ولا بالتلبيس والتدليس والتشوق الأجوف عند الجهال البسطاء والهذرمة بالقيل والقال، وتأبط الشر بين المسلمين، والغل والحقد والحسد، وأنه من تصفى من الكدر، وأصلح سريرته وعلانيته ونصر أخاه ظالما أو مظلوما، يقول الحق وإن كان مرا أو كان على نفسه، يردع الظالمين والمتكبرين، لا يخاف في الله لومة لائم، يذود عن مقدسات الدين، ويردع الكذابين والحشوية المتقولين على الدين بما ليس فيه"[2].

وحمل الشيخ الحكيمي حملة شديدة مخاطبا شيخه العلوي معرضاً بالنقد والتجريح كل المخالفين والخارجين عن المنهج الذي دعا اليه شيخه العلوي فيقول: "هذه هي

(١) د.فؤاد عبده الحاج سيف، الشيخ عبدالله على الحكيمي، فكره الإسلامي وجهوده الإصلاحية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العقيدة والفكر الإسلامي إشراف محسن عبد الحميد، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. ص٢٥.

(٢) أعلام الإصلاح والتجديد في اليمن، إعداد دائرة الأعلام والثقافة، ص٢٤.

طريقتك العلوية الصوفية، وهذا هو التصوف، وبهذا عرفناك، ومن عرف غير هذا فليقل، نعم إنه ظن بعض الجامدين والأغبياء الجاهلين، أن طريقتك التي يحسبون أنفسهم عليها وليسوا منها في شيء، ظنوا أنها طريقة الشعوذة والبهذلة والتهويش، فأرادوا أن يجعلوها عكازا لخرافاتهم وخزعبلاتهم الموروثة عن الجاهلين، و لم يفهموا أن طريقتك تبرأ إلى الله من الخرافات والبهذلة والشعوذة، وتبرأ من الخرافيين والمشعوذين، لأنها طريقة الرسول، وطريقة أصحابه من بعده، وطريقة أهل الكمال العارفين بالله، وإن عصبها وسداها كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما"[(١)].

ويرى الحبيب علي الجفري أن منهج التصوف: "كغيره من علوم الشريعة قد تعرض لكثير من التشويه، أخطره ما كان من داخله أي ممن ينتسبون إليه، ولهذا كان يجري التقويم والضبط من داخله أيضا، وظهر العلماء الذين لقبوا بمحتسبي التصوف مثل الحارث المحاسبي والكلاباذي والإمام القشيري وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي والشيخ أحمد زروق، ومن المتأخرين شيخنا محدث الديار المصرية وعضو هيئة كبار العلماء الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم؛ وقد ألفوا الكتب التي ضبطوا فيها منهج التصوف ووضعوا له قواعد تبين الحق من الباطل، وقد ذكر الإمام الشعراني رحمه الله في مقدمتي كتابيه لواقح الأنوار القدسية وتنبيه المغترين أن الدس والتزوير على الصوفية وصل إلى نشر نسخ من كتبه أضيف إليها زيادات مخالفة للشريعة، وكان ذلك في حياته، ثم وضع ضابطا لتمييز الحق عن الباطل، وهو موافقة الشريعة المطهرة"[(٢)].

مع هذا فقد تأثرت مناهج الصوفية وأثرت كغيرها نتيجة الأوضاع والظروف التي

(1) د.فؤاد يوسف، عبدالله الحكيمي فكرة الإسلامي وجهوده الإصلاحية ص٢٧.

(٢) الحبيب علي الجفري، ندوة صحفية للحبيب علي الجفري على هامش مؤتمر التصوف منهج أصيل للإصلاح والمنعقد بالقاهرة ٢٤-٢٦ سبتمبر ٢٠١١م، ذو القعدة ١٤٣٢هـ، جريدة صوت الأزهر: وهوعلى موقع الشيخ الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15

تمر بها المنطقة فيقول المشهور: "أن منهج السلامة لم ينحسر ولم يضعف في داخل المدرسة أو موقعها العلمية والعملية؛ ولكنه دب إليه الضعف والانحسار من حيث التواصل مع العالم الخارجي من جهة، وانعكاس الحرب والفقر والحاجة على حملة المنهج في الداخل مما أدى إلى الأسفار والهجرة وتخلي الكثير من أهل العلم عن مراكز التأثير والتعلم والتعليم طلبا للرزق ودفعا للحاجة"(١).

وهكذا يوضح الحبيب علي الجفري المنهج والدور الملقى على عاتق الصوفية فيقول عنها إنها: "منهج تزكية يأخذ به المسلم السني أيا كان مذهبه، حنفيا أو مالكيا أو شافعيا أو حنبليا، والدور المتوقع منه أن يؤديه هو إنجاز المهمة الأعظم والأخطر التي نحتاجها في هذه المرحلة وهي تزكية الأنفس، لأن القاسم المشترك بين جميع إشكالات العالم الذي نعيشه إنما هي أزمات متولدة من تصرفات صادرة عن نفوس أهمل أصحابها تزكيتها، فالمشكلة التي تعد قاسما مشتركا في العالم اليوم محلها وموطنها النفس التي لم تتزك، فإذا كان التصوف هو العلم الذي يعنى بتصفية الأنفس من المثالب والعيوب وإصلاح السلوك للتحلي بأحسن الأخلاق فإن الدور الأساسي المتوقع منه أن يكون خطاب أصحابه خطابا يحدو بالأنفس نحو تزكيتها وتهذيبها وأن تكون أحوالهم قدوة في التزكية وحسن السلوك"(٢).

ويتابع الحبيب علي حديثه قائلا:"إن المنهج الذي ندعو به له جذور تمتد إلى ألف سنة ثابتة وماضية، وأبعاده للمتأمل لها جوانب يختص بها ويتميز بها، والمنهج الذي ندعو به إلى الله ﷻ منهج لم يتوقف عن التأثير في الواقع لمدة ألف سنة، وإن كان في

(١) أبو بكر المشهور، منهج السلامة الواعي، ص٧٤.

(٢) الحبيب علي الجفري، ندوة صحفية للحبيب علي الجفري على هامش مؤتمر التصوف منهج أصيل للإصلاح والمنعقد بالقاهرة ٢٤-٢٦ سبتمبر ٢٠١١م، ذو القعدة ١٤٣٢هـ، جريدة صوت الأزهر: وهو على موقع الحبيب علي.

ماضيه لم تركز عليه الأضواء من قبل الإعلام ووسائله في العالم الإسلامي، بسبب أن السابقين في هذا المنهج كانوا يبحثون عن المناطق التي تحتاج أكثر إلى الخدمة والدعوة إلى الله، ويتركون المناطق التي فيها من يقوم بالخدمة والدعوة إلى الله، غير أنه في عصرنا اليوم تداخل العالم حتى صار كما يقولون كالقرية الواحدة، فصار من تحرك بصوته هنا له صدى هناك ومن تحرك بصوته هناك له صدى هنا، فلفتت الأنظار لمثل هذه الدعوة ومثل هذا الخطاب"(١).

ومن ضمن المناهج والشعائر التي تعتمد عليها الصوفية في اليمن: "التصدر في الموالد والحوليات والزيارات مثل زيارة هود، وحول علي حبشي، وزيارة سلطانة الزبيدية، وإقامة بعض الشعائر التعبدية الأخرى، والشعبانية، والتعريف في التاسع من ذي الحجة، واهتمامها بتجديد المساجد القديمة والزوايا وتنشيط أعمالها السابقة من بدع وأذكار جماعية وفرض الأئمة فيها، ومن ناحية أخرى تجديد مدارس التحفيظ القديمة كقبة أبي مريم، ومعلامة باغريب وغيرها، لتقوم بالأدوار السابقة مع التشديد على التقيد بالرسوم القديمة، من حيث التلاوة واللبس والقيام بأدوار ثانوية، مثل ما يقوم به بعض الصغار من أذكار في الجنائز. يضاف إلى ذلك حضور ومشاركة رموزها في مواسم الأفراح والولائم والمآتم، وإظهار النمط القديم من حيث التصدر والشكليات (في الأعراس، والذكر الخاص في جنائز بعض الأسر) ومن مراجع هذه المدرسة العلامة سالم بن عبد الله الشاطري، الذي يشرف على أكبر الأربطة في منطقة تريم في محافظة حضرموت، والسيد أبو بكر المشهور الذي يقيم في عدن، والسيد حسين محمد الهدار الذي يعمل وكيلا لوزارة الأوقاف، ويدير أحد الأربطة التعليمية، خلفا لأبيه في محافظة

(١) صحيفة الأيام اليمنية، نشر: السبت ٠ نوفمبر ٢٠٠٨ - ٠٣ ذو القعدة:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/ 5

البيضاء"[1] والحركات الإسلامية التي أتناولها في حديثي هي الحركات التي لها برامج سياسية ويطلق عليها مثل (الإسلامية، الإسلام السياسي، الأصولية، كما سماها معارضوها، ولا يعني أنه لا يوجد سوى هذه الحركات فهناك حركات إسلامية كثيرة لا تضع الهدف السياسي ضمن أهدافها مثل الصوفية وغيرها.

الصوفية والتجديد:

يبدو أن التجديد أصبح من ضمن الكلمات المتداولة، ومصطلح صار مستخدماً تنازعه الحكام والمفكرون، والهيئات والأحزاب، والأفراد والجماعات، إما تدليساً على الناس لاسترقاق عقولهم وكسب قلوبهم، وإما محاولة فعلية وجدية للنهوض به وتحقيق أغراضه.

والمدارس الصوفية في حضرموت احتل التجديد حيزاً كبيراً ومهماً في فكر مرشديها والذي وضح ذلك: المشهور فيقول: "فمدرسة حضرموت اتخذت لها طريقا واضحا في كافة سيرها الفقهي والعقائدي والصوفي، مع هذا وذاك فهي تلتقي كما أشرنا سلفا مع كافة المدارس الإسلامية من خلال قواسم الإسلام المشتركة على غير إفراط ولا تفريط، وتتفرد في بعض الخصوصيات المرتبطة بها عالمين، وخصوصا فيما يجري في مسألة سب الصحابة، وكسر السيف وتجاوز بعض التقاليد الصوفية المعتادة لدى الطرق الأخرى والاعتناء الكامل بمنهج الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبناء الأربطة ودور العلم الشرعي وغير ذلك"[2].

لكن ما هو التجديد في فهمه؟ فيجيبنا بقوله: تجديد الدين يعني تحديث الوسائل، والتحديث يعني: التجديد. والوسائل: هي الآليات التي يتوصل بها إلى الغايات

(١) سلمان العماري، صوفية اليمن خريطة الأفكار والتيارات، مقال نُشر على شبكة الإنترنت على الموقع إسلام أون لاين – صنعاء 34/ http://islamonline.net/islamists

(٢) انظر: أبو بكر العدني المشهور، الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، ص٣٥.

والمقاصد، ولما كان التجديد سنة الله في خلقه، فقد ميز الحق سبحانه مصنوعاته بالثبات والاستغناء عن التجديد، فالإنسان والحيوان والجمادات والنباتات، وسنن الطبيعة: ماء وهواء وغذاء متميزة بالثبات، ووحدة النوعية التي لا تقبل الحاجة إلى التجديد؛ ولكنها تقبل بعض التحسين والتكثير والتعديل. بينما كل ما يصنعه الإنسان يحتاج بالضرورة إلى تجديد النموذج والتصميم، وربما إلى تعديل أصول الفكرة كلها لتبرز في قالب جديد مقبول. ولما بعث الله الرسل بالرسالات علم أحوال العباد، وما يطرأ على مراحل الوجود الإنساني من التقلب والتطور، وآثار الاحتكاك بالوجه الآخر، فجعل مسألة التجديد للرؤى والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنة المآتي على شروط تتسم بالثبات، فعدد الأنبياء للأمم، وعدد وسائل تبليغهم، بل وعدد حتى معجزاتهم. وجعل الرسالة ومعجزتها على يد نبي كل زمان مما يتناسب مع عقليات أهل ذلك الزمان، وحدود وعيهم المعرفي؛ لتقوم الحجة عليهم"(١).

ويوضح المشهور أن التحديث يعني: التجديد، والوسائل: هي الآليات التي يتوصل بها إلى الغايات والمقاصد: "ومن هذا المفهوم المستجد نعتقد أن كافة الموروثات الإسلامية بما فيها الذكريات والمناسبات يجب أن ترضخ لهذا المبدأ الهام حتى لا يصيبها ما أصاب المرحلة من داء التفسير الأنوي المعبر عن الطعن والهمز واللمز في التاريخ ورجاله"(٢).

والذي يقول عنها أبو بكر المشهور: "مدرسة حضرموت أسسها الإمام المهاجر أحمد بن عيسى أوائل القرن الرابع الهجري والتي كانت خلاصة لتجربته العملية والعلمية، فطبقها ووضع ثوابتها التي تقوم على: جمع الأمة على القواسم المشتركة، ومن ثم السعي إلى الوسطية والدعوة إلى التعايش السلمي، والدعوة إلى الاكتفاء الذاتي

(١) أبو بكر المشهور، منهج السلامة الواعي، ص٤٦.
(٢) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٤٩-٥٠.

بالعمل اليدوي، ومن ثم الأخذ بمبدأ التصوف كموقف ذوقي لمفهوم الإحسان، ومواجه المشاكل وحلها بالحوار وكسر السيف والعمل بالعلم والأخلاق بدلا عنه، ونشر الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة"(١).

والمدرسة الحديثة للصوفية المعاصرة التي تمثلها فئة الشباب الذين لديهم ارتباط بالخارج دراسة وفكرا ومنهجا، وتنضوي تحت هذه الفئة اتجاهات عدة تجمعها أهداف واحدة أهمها ترسيخ التصوف، وبشكل معاصر ليكون مقبولا عالميا وداخليا، ومن هذه الاتجاهات وأبرز تلك المعالم والمدارس دار المصطفى للدراسات الإسلامية، ويوجد بها كثير من الطلاب من جنسيات مختلفة من أنحاء العالم، وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية، كاليمن، والسعودية، والإمارات، وسلطنة عمان، وسوريا والأردن، ومصر والسودان، وفي عدد من الدول الآسيوية، والإفريقية، والأوروبية، وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية"(٢).

ويوضح الحبيب علي الجفري الدور التجديدي الذي تسير عليه دار المصطفى ودورها في تزكية النفس والصدق مع الله التي لا تنفصل عن أداء الواجب في واقع الحياة فيقول: "والمتأمل تاريخ اليمن وحضرموت من أرض اليمن يرى الأثر الكبير للمتقدمين في هذا المنهج الذي ساروا عليه في الدعوة إلى الله ونشر الفضيلة في خدمة الدين في داخل اليمن وخارج اليمن بل وفي تحويل بعض البلدان في العالم من بلدان غير مسلمة إلى بلدان مسلمة بغير قتال وبغير إراقة للدماء. فدار المصطفى امتداد لهذا التاريخ الذي قد مضى وهو من مظاهر التجديد وعناية الله ﷻ بهذه الأمة، فالمناهج

(١) انظر: أبو بكر بن علي بن أبي بكر المشهور، منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، شرح منظومة دليل الساعي إلى أفضل المساعي، ط/٢، نشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمت التراث، اليمن، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م، ص٣٧.

(٢) سلمان العماري، صوفية اليمن خريطة الأفكار والتيارات، مقال نُشر على شبكة الانترنت على الموقع إسلام أون لاين – صنعاء 34/ http://islamonline.net/islamists

الصائبة السديدة الصادقة مهما جاءت الظروف الشديدة والقاسية ومرت بها فإنها لا تنتهي ولا تنقضي ولا تضعف في وقت شدة الضعف الذي عليها، لكنها سرعان ما تستعيد همتها وتجددها للقيام بواجبها"[١].

ثم يوضح أهمية هذا الأمر فيقول المشهور: "إن مفهوم تحديث الوسائل يحتاج إلى زيادة بحث واعتناء ليدفع بالواقع المتجمد إلى حركة فاعلة وتموج إيجابي يسمح للإسلام أن يتخذ موقعه في معالجة شؤون الدين والدنيا، بديلا عن السفسطائيات والتعقيدات والإشكالات المحيطة بالعقول والقلوب، هذه التعقيدات التي غذتها عقليات المراحل بمزيد من الشك والريب، وسوء التفسير، وفساد التعليل والتبرير، مما جنح إلى التطرف والاندفاع في تحديد المصير"[٢].

* * *

(١) الحبيب علي الجفري، في حوار مع صحيفة الأيام اليمنية: السبت ٠١ نوفمبر ٢٠٠٨ - ٠٣ ذو القعدة، ١٤٢٩هـ - وهو على موقع الشيخ الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15

(٢) أبو بكر المشهور، إحياءُ لغة الإسلام العالمية، ص٥١.

المبحث الثالث
منهج الصوفية وموقفها من القضايا المعاصرة

إن أردنا التعرف على منهج الصوفية، فعلينا أن نتتبع مصادرها التي نبعت وظهرت واستقرت، منها نفهم حقيقة الفكر الصوفي كما هو، ولا يصح أن نلجأ إلى المنتسبين فنعتمدهم مصدرا، كذلك التصوف لا يمكن معرفة حقيقته كما هي إلا بالوقوف على مصادره الأصلية، أما الاعتماد على المنتسبين المقلدين من المسلمين فخطأ منهجي، فليسوا كلهم يطبقون تعاليمه، ولقد حمل التصوف في أصوله وطقوسه وتعاليمه جملة من الأهداف، التي سعى سعيا حثيثا لتحقيقها، وقطف ثمارها، وسوف نسعى الى توضيح بعض القضايا المعاصرة وهي: تجديد الدين، عدم القول بالتكفير، إصلاح المجتمع، واقع المسلمين، موقف الصوفية من التعليم والدعوة، الوسطية والاعتدال، على هذا النحو:

١- الصوفية ونظرتها التجديدية للدين:

الإسلام صالح لكل زمان ومكان،لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومرونة الإسلام ذاتية، ومن ثم عندما نتحدث عن التجديد فإننا نتحدث عن طبيعة هذا الدين وعن جوهره، ولا يجوز لأحد أن يفهم هذا التجديد على أنه عملية (ترقيع) أو (تطوير) أو (إصلاح) لهذا الدين، وإنما تجديد الدين نقصد به التجديد في الفكر الديني وليس في الدين نفسه، أو هو إعادة نظر وتأمل فيما أنتجه العلماء من فكر ديني طوال التاريخ، ومن ثم فهو حركة داخل الدليل وليس خارجه، وهو إعادة تأصيل للمسلمات بأفق أوسع، ونظرة أكثر عمقاً، وأكثر شمولية، فالاعتقاد بصلاحية الإسلام - كما نزل - لكل زمان ومكان جزء من الاعتقاد وإن الإسلام كامل وشامل وقادر على حل كل المشكلات المتجددة، والتعامل مع كل الظواهر المستحدثة.

ثم يوضح المشهور الأمر فيقول: "برز على ساحة الحياة المعاصرة من آمن بفكرة التحديث للوسائل؛ ولكن على منحى التفريط، فاستعملها في احتضان كل جديد من المعرفة والصناعة والآلة حتى تغرب الجيل خلف الجديد رافضا للقديم وموروثاته؛ بل ودامغا لها ومهمشا لدورها ومحرفا لمفهومها التاريخي الشرعي، وبلغ التفريط غايته عندما احتضنت هذه المدرسة مفهوم التحديث حتى فيما حرم الله، كاستخدام الوسائل الإعلامية المنحلة أو المساهمة فيها أو في تشييد أروقة الربا والمصارف الربوية الحرام، ويقابلها في منحى الإفراط من يأبى الاستفادة من وسائل الحداثة معتبرا إياها (مظهرا للكفر والانحلال) دون تمييز ولا تمحيص، أو أخذ من وجهة النظر القاصرة يفسر مخترعات الحضارة كاكتشاف القمر، وعلوم الفضاء الكوني، مجرد كذبة وصور يعرضها الكفار على عقول الناس للكسب الإعلامي والسياسي، والسلامة في الاعتدال والأخذ بمبدأ الوسطية الشرعية"(١).

ثم يوصف المشهور واقع الحال قائلاً: "لا شك أن مبادئنا الإسلامية تعود إلى الحياة، تعود لأنها جديرة بالحياة، وجديرة بتجددها مع كل مرحلة، ولكن المصيبة في الإنسان، أنه مخترق من كل الوجوه، ومحاط بالمؤامرة الشيطانية من كل اتجاه، وإذا ما نحن وجدنا من شرائح المجتمع من يفقه الإشارة، ويرغب الإدراك فتجرد عن الآثار المريبة، والمفاهيم الغريبة، فإننا نضع مبدأ له ولغيره (الوقاية خير من العلاج) كأحد مبادئ الإسلام في معالجة سلبيات المرحلة،.. وما ترتب عليها من آثار وتصورات ومواقف، ويرتفع هذا المبدأ من حضيض الحالة المعاصرة إلى أوج الأمل المرتقب لبناء حياة إنسانية أفضل"(٢).

ويوضح المشهور هذا الدور وما تحيط به: "فالأصل في كل مناهج العمل السياسي

(١) أبو بكر المشهور، إحياءُ لغة الإسلام العالمية، ص٤٩-٥٠.
(٢) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٤-٥-٦.

أو الدعوي والشـــرعي، هو كتاب الله وسنة نبيـــه ﷺ وحولهـــا تدنـــدن الفئـــات والجماعات وجل الحكومات؛ بل وبها ومنها تستمد الحجج والبراهين القاطعات حول مسائل الخلاف، أو الاختلاف، ولكن عند التمحيص الحق لهذه الأقوال، نجد الكتـــاب والسنة في وضع المظلوم من الظالم، حيث تفتقر المعادلة إلى نجاح العملية الشرعية كما يقولون"[1].

ولهذا فإننا نؤكد أن فشل الأمة الإسلامية في مرحلتنا المعاصرة ليس عائدا إلى فشل (مادة الإسلام العلمية) وإنما يعود إلى جنوح المسلمين عن (مبدأ الإســـلام الحـــق) إلى طرفي الإفراط والتفريط إستتباعا واستحسانا لناعقي الأبواق الشيطانية،..كما أن نجاح (المدرسة الأنوية) وانتشارها في أرجاء المعمورة ليس عائد لامتلاكها شروط النجـــاح والانتشار، وإنما هو تراكم السلبيات المفتعلة والموجهة ونسيج الأحابيل، والحيل الـــتي عمدت عصبة العمل الإبليسية امتلاك مواقع التأثير منها على الإنسانية، حتى (وســـد الأمر إلى غير أهله)"[2].

ثم يتابع حديثه عن تقصير الكتاب والسنة في القوميات والحزبيات فيقول: "إن ضيق الأفق الذي صنعته عقليات الخبراء الأجانب في (جيل القوميات) قد حـــول الكتـــاب والسنة من عالميته الكبرى إلى سلاح قومي، وسلاح فئـــوي،.. وســـلاح سياســـي، وسلاح حزبي يستفرغ به الفرد في هذه الكتل حقده وكيده وتعصبه المقيت ضد أخيه المسلم والمؤمن، وهكذا ينـــزل القرآن من عالميته في إدارة شؤون الإنسانية إلى سياسة الفئة والحزب والجماعة، وهذه مرحلة جديرة بالدراسة لما جلبته من الفساد في التصور وفساد في التلقي، وفساد في الأحكام، وفساد في الثمرات والعلاقات والمواقف"[3].

(١) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٥٤.
(٢) السابق، ص٥٦.
(٣) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٦٣.

ويبين المشهور حال الأمة اليوم والمستوى الذي وصلت إليه بقوله: "وكان لابد لأمثالنا نحن معاشر المسلمين في أوطاننا الممزقة ومفاهيمنا المتفرقة أن نتبوأ في الوجود الإنساني مكانا ولو على مدى المرحلة المتفائلة، والوجود الإنساني يعني في لغة الحياة: موقع القرار. وموقع القرار بالنسبة لنا حملة الديانة والتدين لم يعد نقيا صافيا كما كان على عهد وحدة الأرض الإسلامية بعمومها، وريادة الفكر، وسياسة الدولة الواحدة، وقد مرت هذه المراحل على عالمنا العربي والإسلامي حاملة أصول أفكار وسياسات ومعلومات وأهداف ومقاصد وغايات تغلغلت بفعل مالك القرار إلى عمق دماء الشعوب ومائها وهوائها، فأحدثت خللا في الوعي والاستقبال، وضعفا في القراءة والاستنتاج، وإحباطًا في المواقف والمدركات، واجتثاثا للهمم والعزائم، وجمودا في القرائح والاستعدادات، ومات الإنسان المسلم داخل أروقة الثقافة والمعرفة والتربية والتعليم، ليعيش ولكن إنسانا آخر وبثوابت أخرى يمكن لهذه الثوابت أن نسميها عربية قومية، أو حضارية استعمارية أو بوتقة مذهبية إقليمية، أو غير ذلك"[(١)].

٢- عدم القول بالتكفير:

من أخطر صور الانحراف عن منهاج الوسطية، والبعد عن طريق رسول ﷺ وصحابته الكرام، القول بالتكفير والخروج من الإسلام، تلك الفتنة القديمة الجديدة: سفكت فيها الدماء، وانتهكت فيها الحرمات، وقاسى المسلمون من آثارها المدمرة منذ بدأت إلى الآن، آلاماً عظيمة، ومحنا كبيرة وجديدة.

حذّر العلماء قديماً وحديثاً من خطورة الفكر التكفيري الذي يظهر بين الحين والآخر في بعض المجتمعات العربية والإسلامية في صورة فتاوى تكفيرية وتحريضية يصدرها البعض لتحقيق مآرب شخصية أو سياسية أو طائفية والذي أشار إلى خطرها

(١) أبو بكر المشهور، إحياءُ لغة الإسلام العالمية، ص٦٢.

على الأمة، المشهور قائلا: "فالدعوة إلى ترك نـــزعة التكفير بين مذاهب الإسلاميين، تلك النـــزعة التي تمثل الفحش الفكري، الذي يفصم عرى وحدة الأمة في وقت تشتد حاجتها فيه إلى التضامن والتآلف في مواجهة التحديات التي تواجهها، من خلال فتوى يشترك فيها كل علماء الأمة، وقد بلغت فتنة التكفير والتفسيق ذروتها" بل بلغت هذه الأزمة في تاريخنا القريب إلى قضية شرعية تصدر بها الأحكام و القرارات والفتـــاوى كجزء من سنن الإسلام والمسلمين، كما هو في مرقومات المدارس الرافعة عقيرة تهمـــة التشـــريك والتكفير والتبديع والتضليل، يخطب بها على المنابر، ويقرأ ثمرات مطابعهـــا الجميع، وتفشت هذه العلل والإفراطات في مرحلتنا المعاصرة حتى فرقت بـــين الأب، وابنه، والأخ، وأخيه، وشتت الأسرة الواحدة، والبيت الواحد، والمجتمع الواحـــد"[1]، فالإسلام نهى عن التكفير وقال إن تكفير المسلم كقتله"[2].

أما الجهل بحقائق الدين فأشده ما كان مركبا بتصور قضايا على خلاف مـــا هـــي عليه، وأشد ذلك ما قام عليه الإخراج من الملة واعتقاد الكفر والـــشرك في المـــسلمين الموحدين؛ بغير حجة إلا الرأي المستند إلى فهم خاطئ في النص، ونظر قاصـــر عـــن الجمع بين أطراف المسألة والنصوص الواردة فيها، فتنبثق الآراء عن وضع النص في غير موضعه، وصرفه عن مدلوله، وعدم التفريق بين ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالـــة، وما كان ظني الثبوت ظني الدلالة، وإنـــزال الرأي والمذهب منـــزلة الـــنص قطعـــي الثبوت والدلالة، في بعد عن قواعد الاستنباط، وعما درج عليه أئمة الأمة، وما أجمعوا عليه على مدى العصور، فيترتب على ذلك الخلل في المسلك، والجهل بحقائق دلالات النصوص المسارعة إلى التضليل والتكفير والتعصب للرأي، وإغـــلاظ القـــول علـــى المخالف، وعدم قبول الاستماع إلى قوله، فضلا عن محاورته، فضلا عن التعاون معـــه

(١) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٧٩.
(٢) د.عبدالله الشيخ المحفوظ ولد بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، ص٣٨.

على المقاصد الكبرى السامية، وأمور الخير الواضحة المجمع عليها، هذا وهو من أهل الشهادتين، وأبناء ملة الإسلام السمحاء، فكيف يقبل حوارا أو صلحا أو معاهدة أو مسالمة مع غيرهم، وماذا يتوقع ممن هذا حاله أن يكون خطابه للمسلمين وغير المسلمين"(١).

وعلى رغم ما يوجه للصوفية من نقد فإن هنالك من ينظرون بإكبار الى الصوفية "باعتبارها من يحمل مشروع التسامح والاعتدال أمام ازدحام الساحة بالغلاة والتكفيريين، ويذهب المشهور إلى توضيح خطورة التكفير والجنوح إليه عند الخلاف فيقول: "أما فيما يتعلق بالمواقف فهناك خطوط حمراء يجب التوقف عندها إلزاما ليتحقق مبدأ الوسطية الشرعية والاعتدال الواعي، والمقصود بالمواقف: حكم البعض على البعض الآخر بكفر أو تشريك أو تبديع أولعن، أو غير ذلك مما يحصل به الافتيات والوقوع في مذمة الإفراط أو التفريط المشين. وقد عانت الأمة خلال مرحلة الغثاء –ولا زالت – تعاني من تسويق هذه الظاهرة التي جنحت بالكثير إلى الخروج عن دائرة التوسط والاعتدال المشروع"(٢).

ومن أراد أن يثبت التطرف للإسلام: "فالإسلام براء من كل تطرف مع أن التاريخ الإسلامي قد عرف غلاة ومتطرفين ومتنطعين إلا أن تيار أهل السنة والجماعة ظل متمسكاً بالمنهج الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وما فتىء العلماء بالمرصاد لكل غلو الاعتقاد أو الأحكام للعملية الفقهية لتصويب الخطأ وتوضيح الجادة التي كان عليها سلف هذه الأمة، كعبدالله بن عمر، وأنس بن مالك، وغيرهم من كبار الصحابة الذين أدركوا عصور الخوارج، وأيام ولاة السوء، وما سجل على أحد منهم خروج

(١) عمر بن حفيظ، الخطاب الإسلامي في المؤسسات الدينية، بين الواقع والتطوير، عميد دار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية حضرموت – الجمهورية اليمنية، ص ٨.
(٢) أبو بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٣٨.

لشدة فقههم في الدين ويقظتهم للعواقب والمآلات ومعرفتهم بوجوب تعظيم شأن والي الأمر"[1].

٣- إصلاح المجتمع:

معلوم أن العوامل التي بها صلاح المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي، هي العوامل التي قام بها إمام المرسلين، وخاتم النبيين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقام بها صحابته الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون المهديون ومن مهام الجماعة الصالحة وصميم دعوتهم اختيار الجليس الصالح الذي يأمر بالخير، وينهى عن الشر، ويتمسك بالعلم النافع، والقول الصادق، والحكمة البالغة، ويبصرك آلاء الله، ويعرفك عيوب نفسك، ويشغلك عما لا ينفعك، واتخاذ المنهج السليم.

وينوه المشهور في كتابه منهاج السلامة: "أن المنهج الذي يخطونه لأنفسهم وللمجتمع من حولهم يتخذ الثبات وعدم التحول لما فيه مصلحة للمجتمع ككل وأنه يجب الالتزام بمنهج في كل عصر، وعدم التحول من منهج إلى آخر أو من حزب إلى آخر، لأن هؤلاء استقوا ورضعوا الثبات في التلقي واخذوا المعرفة من شيوخ لا يعرفون التحول والتأقلم وفق الظروف ولا الزج بالعلم والديانة في سوق العرض والطلب، وعدم الخوض فيما يخوض فيه الكثير من التكتل في الجماعات المتصارعة على أعراض الدنيا وأغراض الحطام ومنافسات الدول، وإن لزمهم واجب فدورهم في المجتمع مناصحة الكل وجمعهم على قواسم الدين المشتركة، فالذي يراد بالأمة في هذا الزمان المحاط بسياج من الشر الذي ترسمه قوى الشر الخفية، وتعمل في دقة وحنكة على إغراق الشعوب وعلمائها وحكامها في أتون النار المستعرة خدمة للشر ومستثمريه"[2]، وهنا يدعونا المشهور إلى ما يجب أن تكون عليه المجتمعات من: "التعاون المشترك مع

(١) د. عبد الله الشيخ المحفوظ ولد بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، ص٣٩.
(٢) انظر: أبو بكر المشهور، منهج السلامة الواعي، ص٢٦٢٥.

بقية شرائح المجتمع ورموزه الفكرية والعلمية لتهيئة جيل متزن يعالج الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة يرفض التطرف"[١].

ويدعونا المشهور إلى التخلص من تبعات المذهبية والطائفية بكل ألوانها لما تشمله من خطورة على المجتمع والأمة قائلا: "فالعلة المنتشرة في الواقع الإسلامي المذهبي واللامذهبي – مثلا– ترجيح كل ذي مذهب مذهبه على مذاهب غيره، أو ترجيح الرفض التام للمذهبية بكل نماذجها وصورها نحو منطلق اجتهادي جديد، والسلامة منه ما أن يتقبل الجميع ما يختلف عليه كمبدأ أو مذهب خاص له محاذيره وله إيجابياته يصح لمعتنقه العمل له وفق اجتهاد مذهبه وتقرير علمائه دون الرد لعمل الغير أو التعريض به أو النقض له من كافة الوجوه"[٢].

ومما يناسب هذا المقام ما قرره العلامة الشيخ محمد بن سالم البيحاني في كتابه (إصلاح المجتمع) إذ قال وهو يتحدث عن الاختلاف والفرقة وما واجب العلماء نحو ذلك فيقول: "ما نراه اليوم بين علماء الدين وحملة الشريعة من الهجر، وهم يعلمون إثم ذلك، وما يجري على الاتباع من الويل والشرور، فقد جعلوا تلاميذهم ومن يأتي بهم فرقاً أو أحزاباً، وصيروهم أعداء، يلعن بعضهم بعضاً، ويحكم هذا بكفر هذا، ويضلل الجاهل منهم العالم، وهم يعرفون النتيجة الحتمية لاختلاف الخاصة، وتعصب العامة، وهم يحذرون الناس من الذي وقعوا فيه، والعيب أن تؤمر لا تأتمر، أو تنهى ولا تنتهي، ولا عذر ولا مبرر للعلماء في اختلافهم على أنفسهم، وتلاعبهم بعقول من يعتقدون فيهم الخير، ويحسن بهم الظن، إلاَ طغيان المادة على أنفسهم، والحسد الذي

(١) أبو بكر العدني بن علي المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ط/١، نشر وادي حضرموت الثقافية الاجتماعية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٥.

(٢) أبو بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية وتَجديدَها من خلال تَأصيل البَدائل وتَحديث الوَسَائل، نشر: منتديات وادي حضرموت الثقافية الاجتماعية، اَليمن، ط/١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٣٨.

يأكل قلوبهم، ويحملهم على الحط من قدر فلان، ونسبة كل عيب إليه، وهم يعلمون طهره، وجلالة قدرة"[1].

ويجب أن تدعو إلى نشر روح التسامح وإشاعة المحبة ونبذ التفرقة وترك التحريض على العنف أو حمل الآخر على المحمل الحسن عبر إقامة المؤتمرات، كما تدعو إلى فسح الحريات للمسلمين للتعبير عن آراءهم ومعتقداتهم.

وهنا يوضح البيحاني مهمة الإنسان في هذه الحياة وواجباته الملقاة على عاتقة قائلا: "أجل ما يقوم به الإنسان في هذه الحياة، وتظهر به ديانته وعبقريته المسؤولية التي تخصه، ولا يشاركه فيها أحد إلا من يماثله فيها، وعلى قدر منازل الناس وكفاءتهم تكون مهامهم، ويؤدونها غير منقوصة، ولا يتوانون في القيام بها، وأعظم الخلق مهمة، وأكبرهم مسؤولية هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[2].

إذن فنحن في عصر يتحدث بلغة لا نفهمها: "والمتحدثون هنا عن الديانة والتدين يجتهدون في إبلاغ المعرفة إلى الأجيال مفرغة عن محتواها. وإنما تصل إليهم مترجمة بلهجات ثقافات العصر لا بلغة القرآن والناطقون بهذه اللهجات هم أولئك الذين يبحثون عن مستوى الرضا من أشباههم وأمثالهم لدى تفسيرهم لإسلامية الواقع وصلاحية مبانيه، وهم أيضا الحائرون من لهجات العنف والتطرف باسم الإسلام، فالإسلام في كلا الحالتين، يعيش أزمة، والواقع المعاش يبرزخ العقول والقلوب والألسنة في أحد طرفي الصراع"[3].

---

(١) محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، تحقيق: يحيى بن على بن أحمد الحجوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ص٥٢.

(٢) محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، ص٤٠٩.

(٣) أبو بكر العدني بن علي بن أبي بكر المشهور، إحياءُ لغة الإسلام العالمية وتَجديدَها من خلال تَأصيل البَدائل وتَحديث الوَسَائل، نشر: منتديات وادي حضرموت الثقافية الاجتماعَية، اليَمن، ط/١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص١٩٨.

أما الدور الذي يجب أن يقوم به التيار الصوفي أو الفكر الصوفي لحل مشاكل الأمة في هذا العصر، والمشاركة في إصلاح المجتمع؟ وما هو الدور الذي يلعبه الفكر والتصوف في تغيير هذا المجتمع كان الجواب على هذا النحو: "ليس فقط الحركة وليس فقط الفكر بل التصوف بمعناه الشامل الذي يعني الحركة والفكر والذوق والهمة والمقصد، أسس فيه إذا اكتملت في الدعاة واكتملت في المجتمع أثمرت مجتمعا يقيم في الأمة مفاتيح للفرج الذي تنتظره، فالأزمة التي تواجه الأمة لما ذكرها الحبيب ﷺ ربطها بأمرين (يلقى في قلوبكم الوهن، ثم فسره بحب الدنيا وكراهية الموت) وهي أوصاف قلبية تحتاج إلى علم يعتني بإصلاح القلوب وهو علم التصوف الذي يحتاج مع العلم إلى حال، ويحتاج مع العلم والحال إلى منهج، ويحتاج مع العلم والحال والمنهج إلى همة، ويحتاج مع العلم والحال والمنهج والهمة إلى التوفيق من الله سبحانه وتعالى"[(١)].

ويرى الحبيب الجفري أن مشكلة الأمة والمجتمع لها حلول يمكن تجاوزها إذا توفرت لدى الأمة النوايا الصداقة والمخلصة في مواجهة هذه المخاطر المحدقة بها فيقول: "إذا خضنا في الأمور التي تمس صلتنا بديننا وربنا أو بأمتنا أو واقعنا من منطلق إرضاء الله عز وجل بالسعي في إصلاح أحوالنا وأضفنا إلى ذلك نقطة ثانية وهي تصحيح فهم المرجعية التي على أساسها نتحاور وأضفنا إليها نقطة ثالثة وهي إقامة أدب الحوار ومنطق الحوار الصحيح، ثم هناك أدب إذا أضفناه ليكون رابع قواعد الحوار وهو احترام بعضنا البعض، ثم إذا أضفنا أدبا خامسا وهو قبول احتمال الخطأ منا عندما نحاور واعتقاد إن العصمة للدين لا لفهمنا نحن للدين، والتفريق الدقيق المهم الكبير بين النظرة إلى خطابنا عن الدين على انه هو الدين والنظرة لخطابنا عن الدين على انه هو

(١) الحبيب علي الجفري، في حوار مع صحيفة الأيام اليمنية: السبت ٠١ نوفمبر ٢٠٠٨ - ٠٣ ذو القعدة،١٤٢٩ - وهو على موقع الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15

فهمنا للدين وإقامة الأمر على هذا الأساس من باب قوله سبحانه وتعالى على لسان امرأة العزيز {**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**} [يوسف: ٥٣] اعتقد أن الأمر سيخرج بحلول عظيمة للأمة هذه خمسة أسس لإقامة الحوار الإسلامي فيما بيننا"(١).

وفي الحقيقة: "من يقرأ ويتتبع صفحات تاريخ الصوفية في اليمن بصفة خاصة والبلدان الإسلامية بصفة عامة سيلفت نظره أن الصوفية الأولى كان لها وجود في أعماق المجتمع تحل مشاكله، وتقدم الحلول العملية لحله، وكان كبار مشايخ الصوفية يقفون بقوة وثبات وشجاعة ورباطة جأش للحكام الطغاة الذين يذيقون الناس العذاب الغليظ، فلم يعتمد الرعيل الأول من شيوخ الصوفية على الشعوذة والخمول والهروب من الواقع الاجتماعي، بل كانوا يعيشون مع المجتمع مع تباين فئاته بكل مشاعرهم وأحاسيسهم ووجدانهم ، وكانوا – بحق – صوت المظلومين وصوت المعذبين في الأرض إزاء ظلم الحكام لرعاياهم. وهذا ما أكده الأستاذ عبد الله محمد الحبشي، قائلا: "كان رعيلهم الأول من الصوفية العمليين الذين لم يمنعهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب من الناس والدخول في همومهم، فانخرطوا في سلك المجتمع، وكانوا المعبرين عن آماله وطموحه أمام السلطة الحاكمة " ولكن في أواخر عهدها ابتعدت الصوفية كل البعد عن جوهرها الحقيقي التي كانت متكئة على العلوم والمعرفة، أو بعبارة أخرى كان شيوخها ينهلون من العلوم والمعارف ويعملون على الاستزادة منها"(٢).

(١) الحبيب علي الجفري، في حوار مع لقاء صحيفة الثورة اليمنية، نشر: الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨ – ٢٨ شوال ١٤٢٩ – وهو على موقع الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15

(٢) عبدالله الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٥٦.

٤- واقع المسلمين:

ينظر المتصوفون إلى اليمنيين على أنهم يمارسون شكلا من أشكال الصوفية، وتستوعب الصوفية كمكون عميق للهوية اليمنية جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن عمرهم أو نوعهم الاجتماعي أو مكانتهم الاجتماعية أو توجههم السياسي "ولأن أمة الإسلام في مرحلتنا المعاصرة لا تملك من الأمر شيئا غير الحسبلة والحوقلة والحسرة على ضياع قرارها واستقرارها، ولأن أمرها في كل شؤونها بيد حكامها ومن دار في دائرتهم، والخلاص من هذه الورطة يتطلب من الشعوب ذاتها أن تعي خطورة المرحلة، وأن تعيد ترتيب نفسها حسب الإمكان والظروف، ويبدأ الترتيب غالبا من داخل المجتمع وإصلاح منطلقاته، بل يجب العمل الشعبي الواعي خدمة لله ورسوله والمسلمين من غير إفراط ولا تفريط ولا تحريض ضد قرار ولا مشاركة في ظلم، ومن أهم شروط ترتيب الشعوب الاعتناء بالبناء التعليمي والتربوي والدعوي، سواء ضمن المؤسسات الرسمية -إن تهيأ ذلك- أو ضمن المؤسسات الشعبية ذات العلاقة بالمنهج الأبوي المسند"[(١)]، ويوضح المشهور الحال الذي عليه الأمة قائلا: "والمسيرة المشار إليها قد انتقلت في عصرنا إلى قوالب جاهزة المسارات والمساقات بحيث لا يستطيع أي سائر في هذه المسارات إلا أن ينطلق وفق إشارات الطريق بلا منفذ ولا منعرج آخر"[(٢)].

ويتكلم البيحاني عن الوسائل المشروعة وغيرها وهو يحسن الدعوة للرجال الدين قائلا" أما أنتم يا رجال الدين، وورثة النبيين، فعليكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيادة الامة بأقوالكم الصادقة، وأفعالكم الصالحة، إلى ما فيه سعادة العاجل والآجل، وأن تقولوا الحق، لا تأخذكم في الله لومة لائم ولا تخشون إلى الله وحده، وترغبون في الخير بما أوتيتم من الحكمة وفصل الخطاب، وتجمعون الناس إذا تفرقوا

(١) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٢.
(٢) السابق أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٥٩.

بإصلاح ذات البين، وتفهيم كل بما عليه، وأنتم الذين تقوم على كواهلكم المملكة، وتستقيم بكم الأمور بإذن الله"[1].

وعندما نتأمل كثيرا نجد أن القرار قد هيأ بين المسلمين على صفة التدين من خلال الاشتباك بين المدارس الدينية التقليدية والمدارس الإسلامية الحزبية وليده المرحلة، فأصبحت تسمى مدرسة أهل السنة والسلفية، وزحزحت كافة الفئات الموجودة أمامها عن كثير من مواقع التأثير، ومرت هذه اللعبة حتى ظهور مرحلة العولمة وإذا بنا نشاهد أسلوب التحريش الجديد بين السنة المصنعة والشيعة المقنعة، أي التي لم تفصح بعد عن هويتها الحقيقية، في سير المعركة المذهبية حتى الآن.

وإن كثيرا ممن يعملون في برنامج النقص والتحريش أو في البرنامج الذي جاء بعد الإلحاد يعملون بجد واجتهاد لخدمة هذا البرنامج وإنجاحه في الواقع، حتى إذا ما أفلس الفكر المسيس وبرزت عوامل انحساره أو فشله ترى هؤلاء المنتفعين بدأوا بتغيير جلودهم كالحرباء ليواكبوا المرحلة الجديدة، ويتخذون لأنفسهم فيها موقعا سياسيا أو اجتماعيا أو دينيا، دون أن يشعروا يوما ما بمقدار الخدمة التي جاءت على أيديهم لعدو الأمة ومستثمري المرحلة، أو حتى أن يعوضوا عنها بأخذ العفو والسماح عمن طالتهم أيديهم وأسلحتهم وسلطتهم"[2].

وإننا اليوم بين فكي كماشة كما يقال، إفراط المفرطين الغلاة، وتفريط المبغضين البغاة- فالحق مشوب بدخان الباطل، والشيطان يدفع بالجميع إلى حافة الهلاك، وهذا ما هو ملاحظ ومشاهد في شؤون الأمة، وفي شؤون علاقة الشعوب ببعضها، وأهمية هذا الأمر تكمن في قراءة الواقع وتَتَبُّعِ الأحداث فيقول المشهور: "مما لوحظ بعد الاستقراء الواعي لكافة تحولات المراحل، وما نتج في ثنايا تحولاتها من حروب وفتن

(١) محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، ص٤١٥.
(٢) أبو بكر المشهور، منهج السلامة الواعي، ص٨٩.

وانقسامات، تأكد بالدليل أن وراء الأحداث عقولا تبدع استخدام الوسائل، وتتفانى في صنع جديد البدائل، ولربما كانت بعض الوسائل المعروضة على العقل البشري من الفتنة بمكان حتى تأخذ باللب، وتدفع المرء إلى خوض معركة ما بدون شعور واع، ومن هذه الوسائل المعبر عنها بالفتن في أحاديث من لا ينطق عن الهوى ما ينطوي تحت مرسوم القضاء والقدر، ولا يسع المرء أمامها إلا التسليم والدعاء بالحفظ من الله تعالى وحسن التسديد، وقد يأخذ بنا الاستطراد والمتابعة لهذا الأمر خارج موضوعنا المقصود، ولهذا فإن مقصودنا الأساس من هذا الأمر أن نلفت النظر الجاد من معاصرينا إلى أهمية التحديث للوسائل وضرورة تأصيل البدائل، كرؤية واعية بديلة"[(١)].

ثم يقول المشهور: "ولنسهم في هذا المشروع بإدراك ووعي، مقرون بالافتقار إلى الله أن يوفقنا للحق، وخدمة مسائله، لنضع ما ييسره الله لنا في دائرة الحركة المعرفية، من فهوم استفدناها خلال نزولنا المباشر إلى محيط نشر الدعوة إلى الله، ومعايشة الحالة الراهنة العاكسة بحق مظهر الغثائية في كل مستويات الحياة، فلعل لنا ولأهل عصرنا في مستجدات الرؤى ما يمثل بديلا شرعيا يجمع الأمة على قاسم مشترك، ويقيم الحجة الناصعة على مدارس التعصب والأنانية،مدارس الدوائر المغلقة والنظرات الضيقة حاملة فيروس الوهن، الذي عبر عنه من لا ينطق عن الهوى ﷺ"[(٢)].

٥- موقف الصوفية من التعليم والدعوة:

التعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المثلث المدموج المشار إليه هنا يمكن به إعادة ترتيب الجيل بشرط المعلم والمربي والداعي المخلص المتخذ من هذه العمليات قضية مصيرية، وليست مجرد وظيفة حكومية، حيث يكمن نجاح المنهج

(١) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٥٢.
(٢) السابق، ص٥٣.

بكونه قضية ومصيرا يتبناه المعلم والمربي والداعي؛ لإحداث بناء شرعي في نفس المتلقي يعرف به وظائفه الأزلية في الحياة وما بعد الحياة.

ويذهب أبو بكر المشهور إلى توضيح حال الأمة وموقفها من التعليم فيقول: "أما في مستوى التربية والتعليم – وهو أساس التعليم الأبوي وقاعدة المدرسة الأبوية – فالصورة المشاهدة في الواقع العربي والإسلامي داخل المؤسسات والكليات خير شاهد على اغتراب المناهج والمدرسين والإدارات والطلاب عما يسمى التعليم"(١).

ويوضح المشهور ما عليه حال التعليم في الأمة قائلاً: "وصار من الوعي في هذه الكتل بمكان أن تفوج مطابع الإدارات التعليمية أطنان الكتب والمؤلفات ومناهج التعليم للبنيين والبنات.حاملة وحامية فكر التشريك والتبديع ومبررة سياسة التطبيع والتطويع، مستدلة بكتاب الله وسنة رسوله، وهذا عين السقوط في تجارة المبادئ،.. وهذه الحالة برزت في عالمنا العربي والإسلامي بعيد سقوط قرار دولة الخلافة"(٢).

ونحو ذلك تأتي رسالة البيحاني نحو العلم والعلماء وواجبهم فيقول "ونعمة العلم يجب شكرها بالوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تعمل صالحاً بما علمك الله، فعلاً وتركاً وقولاً وصمتاً، ومن ازداد علماً ولم يزدد من هدى لم يزدد من الله إلا بعدا، وطرق الخير كثيرة، ومعظم الناس يعرفونها، ولكن حب الخير وفعله شديد على النفس حتى تُذَكَّرَ بالله، وترغب في الجزاء العظيم"(٣).

ومن المعوقات التي قد تضمن لنا نجاح هذا المنهج: "تحييد العمليات التعليمية والتربوية والدعوية عن (التسييس الحزبي والفئوي) مع ترسيخ حب الوطن والدفاع عن

(١) أبو بكر العدني المشهور، الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، نشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، اليمن،ط/٢، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م، ص٢٩.
(٢) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٦٣.
(٣) محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، ص٣٩٥.

المبادئ الإيمانية العليا، دون الولوج في الصراعات الحزبية والتيارية المتنازعة في الواقع المعاصر، ومثل هذا التحييد لا يمنع الشباب بعد مرحلة التخرج من ممارسة العمل السياسي والفئوي الواعي الخلاق، والأمر الضابط لهذا التحييد هو إعداد المنهج الملائم لمثل هذه الرؤية، وتجهيز المدرس المسؤول عن تنفيذ المنهجية العلمية التربوية بقناعة وإدراك"(١).

بناءً عليه: "أبرزت عمليات الفصل المتعمد بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله فشلها الذريع في إيجاد الإنسان المتناسب مع مطالب البناء الحضاري المتنامي، بل ربما تكون هي المسئولة مسؤولية مباشرة عن إنجاح المشروع الاستعماري والاستهتاري والاستثماري في مرحلة الغثاء الممنهج، هذا المشروع الذي وظف طاقات الشباب، وإمكانات الإدارات، ومواقع العمل لتخريب الأبنية العلمية والاقتصادية والتربوية والصناعية في الوطن العربي والإسلامي خلال مرحلة الحرب الباردة بين قطبي الصراع العالمي (الرأسمالية والاشتراكية) وبين كتلتي الصراع السياسي (العالم الغربي والعالم الشرقي، وما نتج عنهما من إفرازات قلبت المنطقة بكاملها رأسا على عقب"(٢).

وظهر توجهه هذا ناصعاً جلياً في توجيهه للدعاة والمتعلمين فيقول البيحاني: "وحق على المسلمين أن يستعملوا الرفق واللين في الأمر، بلا مداهنة ولا مجاملة، ولا هوادة؛ وعلى الولاة الأمراء والآباء والأمهات والأزواج والملاك والأساتذة ورؤساء العمال أن يرفقوا بمن تحتهم وبما في أيديهم، ولا يأخذون إلا بحق، ولا يدفعون إلا بالحسنى، والواعظ المرشد لا يحمده الله والناس إلا إذا عرف البشارة والنذارة، وأحكم الترغيب والترهيب، وأحسن ظن مستمعيه بالله، وخوفهم من معصية الله، أما الذين يرتقون

(١) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٣٣-٣٤.
(٢) أبو بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية، ص٣٤.

المنابر، ويتبوأون صدور المجالس، ثم لا يقولون إلا بشدة، ولا يعظون إلا بعنف، ويقبحون ويلعنون، فخير لهم أن يسكتوا"[1].

٦- الوسطيه والاعتدال:

من الواضح للجميع أن الحجة واضحة وقائمة على المسلمين، حيث نزعنا إلى الخمول والتواكل، فأصبحت هذه العلة ظاهرة المرحلة بعمومها، من أعلى الهرم إلى قاعدته الشعبية، فالمثقفون المعاصرون يعتقدون كما برمج لهم أن العزلة والخمول إنما هي تهمة عالقة بالتصوف والصوفية، ومن الصوفية من يعتقد أن التهمة عالقة بالسلفية وغيرها من الفرق والجماعات والأحزاب.

والفكر الإسلامي فكر معتدل وسطي، لا إفراط ولا تفريط فيه، ولا يقبل الغلو ولا الإسراف والتقتير، وإنما يأخذ مركز الوسط في الأمور كلها، ولا يعرف التطرف في الجانب الأخلاقي، ولا يُغَلِّبُ جانبًا على حساب جانب آخر، ولا يقدم ملكية الجماعة على حساب ملكية الفرد ولا العكس، فهو يأخذ نصيبه من الدنيا ولا يعتبرها غاية "وفي خضم هذه العلل تبرز مفاهيم (الوسطية والاعتدال) على لسان القادة والعلماء والمفكرين، كما برزت قبلها مفاهيم الصحوة والثورة، وتصبح العبارات (إحدى لبنات المراحل) التي تلوكها الألسنة، وتحضر لها المصانع تحضيرا يتناسب مع حركة العرض والطلب حتى ينتهي وقتها وتسقط ورقتها.

وإن (الوسطية والاعتدال) التي يتحدث عنها في مرحلتنا المعاصرة آلية سياسية يراد بها إعادة ترتيب الصراع الاجتماعي داخل الأمة العربية والإسلامية بأسلوب يضمن ضرب المسلمين ببعضهم البعض مع عدم المساس بمصالح المؤسسات المانحة (قرار العولمة) في شتى بقاع الأرض، وبهذا المفهوم تصبح (الوسطية والاعتدال) المتحدث عنها

(١) محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، ص٤٠٩.

إعلاميا من وجهة نظر الإسلام إحدى معاول الهدم في جدار الأمة عبر تاريخها المنهوك.

وأما إذا أردنا أن نعرف (الوسطية الشرعية والاعتدال الشرعي) من وجهة نظر الإسلام نفسه نجد أنفسنا أمام منهج عالمي وقانون سماوي، يحمل مقومات العدل والرحمة والسلام في أنصع صورها الإنسانية، ومع كافة البشرية المتقاسمة مصالح الماء والهواء في هذه الحياة.

وسمة الوسطية والاعتدال تتجلى في صور سماحة الإسلام، وهذه السمة هي علامة لهذه الأمة التي نشرت الحق والعدل والسلام، وما وصلنا إلى ما نراه اليوم إلا نتيجة لترك الوسطية والبعد عنها إلى التطرف، والأمل في الخروج من هذا هو في عودة أمة الوسطية، بل هي مكسب عالمي ضد دعاة الشر وأعوان الشيطان ومدرسته، لكنها في منظور الإسلام معالجة صحيحة ناجحة لبناء الانسان وفق مراد الله في العالم المعبرة عنها بقولة تعالى: {**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**} [الروم:٣٠]، ومن هذا المنطلق والوعي نجد أنفسنا أمام استراتيجية واضحة المعالم فالعالم كله محتاج للوسطية والاعتدال كمبدأ فطري، كما تحتاجها الامة الاسلامية كمبدأ شرعي"[(١)].

وهذه الحاجة تدفعنا نحو الخروج الشجاع من مفهوم الأمة المتداول حول الوسطية والاعتدال، إلى مفهوم أكثر شمولاً وعالمية، فالعلة المنتشرة في العالم الاسلامي المذهبي واللا مذهبي وترجيح كل ذي مذهب على مذهب غيره، ومنه يجب الذهاب نحو واقع بعيد عن المذهبية معتمدين على الاجتهاد وأن يتقبل الجميع ما يختلف عليه"[(٢)].

(١) انظر: أبو بكر العدني بن على المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية وتجديدها من خلال تأصيل البدائل وتحديث الوسائل، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، نشر منتديات وادي حضرموت الثقافية والاجتماعية،صنعاء، ص٣٧.

(٢) انظر: أبو بكر العدني بن على المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية وتجديدها من خلال تأصيل البدائل وتحديث الوسائل ص٣٩.

والمعتقد أننا الأن في مرحلتنا هذه قد بلغنا إلى رفض الوسائل الشرعية وإدانة تأصيل البدائل، حيث حل بالأمة ما قد أخبر عنه سيد الورى في حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ؛ قال: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم"[(١)]. والمتأمل من أهل النظر والإدراك حال الانحدار كافة وسائل الحياة، وما ترتب على ترك الآداب والأخلاق من بدائل مدمرة يعي ملحظ صاحب الشريعة في مدى انزعاجه وخوفه من شر البدائل التي تصيب الأمة وباختيارها في بعض الأحوال، وفي أحوال أخرى بفعل الأصابع الخفية سياسة المدرسة الأنوية الإبليسية في العالم "[(٢)].

والشرع في ميزان المصالح والمفاسد يضعها في كفتيه فيرجح الأصلح ويدرأ المفسدة، كما يقول ابن القيم: "الشريعة مصلحة كلها عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة"[(٣)]،كل هذ ا يمثل ثقافة التسامح في حياة الناس ليعودوا إلى صوابهم رؤساء ومرؤسين نخبة وجماهير إلى كلمة سواء، متحابين غير متنافرين، إنها ثقافة صعبة في جو ثقافة العنف المتبادل، وفي ضل الأصولية الضاغطة بكل ثقلها، لإيجاد الفرقة والخلاف بين الأمة.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٧/٣) وأحمد في المسند٥/٣٨٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٩) من طريق عمرو بن ابن عمرو، عن عبدالله عبد الرحمن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان ﷺ أن النبي ﷺ، قال: والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه ولا يستجيب لكم رواه الترمذي وحسنه. ومعنى أوشك أسرع) قال الترمذي: هذا حديث حسن وللحديث شواهد متعددة من حديث أبي هريرة، وعمر، وابن عمر، وعائشة، وغيرهم فالحديث مجموعها صحيح فضلاً عن كونه حسنًا.

(٢) أبو بكر العدني بن على المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية وتجديدها من خلال تأصيل البدائل وتحديث الوسائل ص٤٥.

(٣) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط-١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص١١.

الخاتمة

نتائج البحث وتوصياته:

١- الدعوة إلى تجديد لغة الحوار ومخاطبة الوجه الآخر، بما يحتمله المدلول اللغوي ولا يتجاوز التفسير الشرعي لما فيه مصلحة للأمة وحل لمشاكلهم وترتيب قضاياهم.

٢- الدعوة إلى بث روح التسامح والمحبة وتغليب المصالح العامة على المصالح الخاصة وتغليب روح الحوار بين الجماعات الإسلامية.

٣- الدعوة إلى عدم تدوين المعتقدات والمناهج التي تربي المريدين على تقديس الأشخاص في العصر الحديث المبادرة إلى تنقية التراث من الخرافات والضلالات، فأرى أن من الضروري مكافحة هذا الفكر – بتشجيع العلماء وتوجيه طلاب الدراسات العليا إلى تقديم بحوث ودراسات جادة تناقش آراء جميع الفرق الضالة وتبين زيف معتقداتها ومناهجها بالحجة والبرهان.

٤- توجيه طلبة العلم إلى معرفة منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة، وفي مواجهة المبتدعة والملحدين. ثم يوجهون إلى دراسة معتقدات الفرق الضالة. والتركيز على الشبهات وأشبهها بالأدلة عرضاً، ومناقشة، وتفنيداً.

٥- النهوض بشعوب هذه البلدان نحو تنمية اقتصادية تليق بكل أمة ذات رسالة، وما عليه هذه الشعوب من انحرافات عقدية هي السبب فيما هي فيه من تراجع اقتصادي، لكني على يقين تام بأن تأثير الانحراف العقدي في هذا التخلف أكثر من تأثير أي مؤثر آخر. فلعل دراسة جادة تقوم ببيان العلاقة بين الانحراف العقدي والتخلف الاقتصادي.

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، سنن الترمذي، نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط عادل مرشد، إشراف د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- أبو داود،كتاب سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٤، ناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، رقم٤٢٩٧.
- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط/١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط-١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- أبو بكر العدني المشهور، الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، نشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، اليمن، ط/٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- أبو بكر بن علي بن أبي بكر المشهور، منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان

الوهن والتداعي، شرح منظومة دليل الساعي إلى أفضل المساعي، ط/٢، نشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمت التراث، اليمن، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.

- أبوبكر العدني ابن علي بن أبي بكر المشهور، إحياء لغة الإسلام العالمية وتجديدها من خلال تأصيل البدائل وتحديث الوسائل، نشر منتديات وادي حضرموت الثقافية والاجتماعية، صنعاء، ط١. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- أحمد بن علوان، ديوان كتاب الفتوح، تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- أعلام الإصلاح والتجديد في اليمن، إعداد دائرة الإعلام والثقافة الأمانة العامة التجمع اليمني للإصلاح، نشر دار الشوكاني للطباعة والنشر، صنعاء.
- تركي الدخيل، جوهرة في يد فحام، رحلات ومقابلات صح فيه في اليمن السعيد، نشر مدارك إبداع، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- الحبيب علي الجفري، في حوار مع صحيفة الأيام اليمنية: السبت ٠١ نوفمبر ٢٠٠٨م - ٠٣ ذو القعدة، ١٤٢٩هـ - وهو على موقع الشيخ الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15
- الحبيب علي الجفري، في حوار مع لقاء صحيفة الثورة اليمنية، نشر: الثلاثاء ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٨م - ٢٨ شوال ١٤٢٩هـ - وهو على موقع الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15
- الحبيب علي الجفري، ندوة صحفية للحبيب علي الجفري على هامش مؤتمر التصوف منهج أصيل للإصلاح والمنعقد بالقاهرة ٢٤-٢٦ سبتمبر ٢٠١١م،

ذو القعدة ١٤٣٢هـ، جريدة صوت الأزهر: وهو على موقع الشيخ الحبيب علي زين العابدين الجفري الرابط:
http://www.alhabibali.com/media_details/ln/ar/typeof/2/mediaid/15

- الحوثية في اليمن، الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، إعداد/ مجموعة الباحثين، مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث، صنعاء ذي الحجة ٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م (بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الإنسانية- ٢٠٠٩م.
- د.عبد الفتاح أحمد الفاوي، التصوف عرض ونقد، دار الهاني للطباعة والنشر، دار السلام المعادي، رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/٢٧١٥.
- د.فؤاد عبده الحاج سيف، الشيخ عبدالله على الحكيمي، فكرة الإسلامي وجهوده الإصلاحية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في العقيدة والفكر الإسلامي إشراف محسن عبد الحميد، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- سلمان العماري، صوفية اليمن خريطة الأفكار والتيارات، مقال نُشر على شبكة الانترنت على الموقع إسلام أون لاين – صنعاء:
http://islamonline.net/islamists /34
- عبدالله المحفوظ ولد بيه، خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام، أكاديمية نايف بن عبد العزيز، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- عبدالله بن محمد الحبشي الصوفية والفقهاء في اليمن توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- عبدالله على الحكيمي، أيام من حياة المجاهد الكبير، إعداد سعيد ثابت، سلسلة أعلام الإصلاح والتجديد في اليمن، إصدار التجمع اليمني للإصلاح دائرة الإعلام والثقافة التجمع اليمني للاصلاح، صنعاء، ط٢، ١٩٩٩م.

- عبدالله على الحكيمي، دعوة الأحرار، طبع مطبعة مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، ٢٠٠٠م.
- عمر بن حفيظ، الخطاب الإسلامي في المؤسسات الدينية، بين الواقع والتطوير، عميد دار المصطفى بتريم للدراسات الإسلامية حضرموت – الجمهورية اليمنية.
- محمد بن سالم البيحاني، اللمع على كتاب إصلاح المجتمع، تحقيق: يحيى بن على بن أحمد الحجوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ
- مقابلات على قناة السعيدة بتاريخ ٢٠/٣/٥ ٢م:
http://www.youtube.com/watch?v=P9Rt3c9hZpg
- موقع إسلام أون لاين، صوفية اليمن خريطة الأفكار والتيارات.

* * *